حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب . ٢٠١٢م

٢

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

قنطرة كري سعدة....عمارتها وتاريخها

الاستاذ نبيل عبد الحسين راهي
كلية الآداب - جامعة الكوفة

قبل ما أن أخوض في غمار موضوع قنطرة كري سعدة لابد لنا من معرفة بسيطة لتاريخ نشأة القناطر والجسور في العراق لتتكون لدينا صورة واضحة تبين الجذور التاريخية لنشأة هذا الفن المعماري الحيوي والمهم من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية قديماً وحديثاً.

تاريخ نشأة القناطر والجسور في العراق:

وضعت التقنيات الحديثة بين أيدينا أدلة وإشارات حول استخدام الفن المعماري في العراق منذ أقد العصور فقد ذكرت لنا المصادر المدونة من الرقم الطينية السومرية والأكدية والبابلية والآشورية جسوراً أنشئت في تلك العهود التاريخية القديمة، وكشفت لنا التقنيات عن بقايا جسر يربط مدينة الحضر العربية بنهر دجلة والذي لازالت بعض أطلاله قائمة[١].

وبعد الفتح الإسلامي للعراق كان الاهتمام بارزا في بناء القناطر والجسور، فذكر لنا البلاذري[٢] أول عملية مسح أرض السواد والتي ترتب عليها انشاء جسور وقناطر في عهد حكم الخليفة عمر بن الخطاب كما ذكرها الطبري[٣] في حوادث سنة٧٧هـ حيث أشار إلى تلك القناطر والتي عرفت فيما بعد بقناطر حذيفة.

وأنشئت خلال حكم الخليفة الثالث عثمان بن عفان قناطر في الجزيرة الفراتية وسواد العراق[٤].

(١) الياور، د. طلعت/الجسر تخطيطه ووضائقه في المصادر التاريخية والآثارية/مجلة آفاق عربية/العدد٣/١٩٨٨ص٨٦

(٢) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر/فتوح البلدان/نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد/لجنة البيان العربي/مصر١٩٥٧ف٢ص٣٣٣.

(٣) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير/تاريخ الرسل والملوك/تحقيق أبو الفضل إبراهيم/ج٦/ دار المعارف/مصر/١٩٦٥/ص٢٥٨.

(٤) الياور-/المصدر السابق/ص٨٧

واستمر الاهتمام بهذا الفن المعماري الخدمي بشكل واسع خلال العهدين الأموي والعباسي والذي لا مجال لذكره هنا[٥][٦].

قنطرة كري سعدة

تقع هذه القنطرة على مسافة ٥كم إلى الشمال من مدينة الكوفة الحالية قائمة على مجرى كري سعدة الذي يأخذ مياهه من الفرات قرب مدينة هيت يسير ليصب في البحر العربي قرب مصب بوبيان، وتتكون القنطرة من عقد مدبب كبير يبلغ عرض فتحة فضائه ٥متر وارتفاعه عن مستوى الأرض الحالية٤،٧٥م.

وتتميز هذه القناطر بوجود أربعة دعامات أسطوانية مرتبطة بنائياً مع أركان العقد وترتفع إلى مستوى واحد ما عدا الدعامة الواقعة في ركن الواجهة الجنوبية للعقد فهي أقل ارتفاعاً، ويرجع سبب هذا التباين في الارتفاع إلى هدم الأجزاء العلوية منه بسبب تعرضها إلى عوامل التخريب الطبيعية والبشرية. أما وظيفة هذه الدعامات فهناك دراسة حديثة تشير بأن الهدف الأساسي من بنائها «لتكون سانداً وركيزة للقنطرة أثناء الفيضانات أو ربما تكون منارا للاستدلال على موقع القنطرة»[٧].

من خلال تأمل دقيق للبيئة التي تشرف عليها القنطرة من الجهة الغربية يتولد لدينا رأيٌ خاصٌ حول الهدف الأساسي من

(٥) لمزيد من المعلومات حول نشأة القناطر والجسور في العراق خلال العهدين الأموي والعباسي انظر الياور/نفس المصدر؟؟؟؟ ص٨٧-ص٨٨

(٦) ماسنيون، مسيو لويس/خطط الكوفة وشرح خريطتها/ترجمة محمد المصعبي/تحقيق كامل الجبوري/مطبعة الغري/النجف الأشرف/١٩٧٩/ص٢٣.

(٧) الساعدي، عنان عبد الله حمدي/القناطر والجسور في العراق في ضوء دراسة قنطرة حربى/ رسالة ماجستير غير منشورة/جامعة بغداد/كلية الآداب/قسم الآثار/١٩٩٠م،ص٨٣.

بناء هذه الدعامات فإضافة إلى ما ورد أعلاه فقد استخدمت كابراج مراقبة لأشراف هذه القنطرة على أرض خالية (صحراء) تكون مجالا لتقدم الجيوش والتسلل من خلالها. ومما يؤيد هذا الرأي هو الهدف من انشاء هذه القنطرة والفترة التي أُنشئت فيها كما سنذكره لاحقا، إذ أنها أنشئت في فترة احتلال أجنبي للعراق مهدد لاحتمالات حروب وهجمات ولقطاعات عسكرية من الدول المجاورة للعراق والصحراء التي تشرف عليها القنطرة، صحراء طويلة تربط الكوفة بالجزيرة العربية وأجزاء من بلاد الشام لذا كان الهدف من إنشاء هذه القنطرة أصلاً هدف عسكري وذلك لتأمين عملية عبور الجند المرابطين لحماية حدود المدينة لضفتي الكري الذي يمثل مانعاً طبيعياً وكذلك نقطة مجمع رئيسية للجند ومناراً في الليل للاستدلال عليها بالنسبة للجند الضالين.

أما قواعد الدعامات فجعلت بشكل انسيابي لتادية وظيفة تخفيف شدة الضغط المتولد على الكتلة البنائيه من اصطدام الماء بالجدران.

أما القنطرة من الأعلى والذي يبلغ عرضها٨م فمسلكها موصوف بالآجر المربع وربما كان البناء يرتفع في جوانبه أعلى بقليل من مستوى المسلك لحماية المارة من خطر الستوط

وتبين من خلال أجراء حفر حول أسس القنطرة لأغراض صيانتها عام٣٣٤م. إن العقد تستند على دعامتين تقومان على أساس مندرج ينظم إلى الداخل بصورة متساوية من الطرفين حتى يلتقيان ليكونا شكلا بيضويا قاعدته تقوم على مسطبة أجرية أعدت لتكون قاعدة لحمل كتلة بناء القنطرة وتقوية تماسك أجزائها لكونها تقع في بيئة رملية هشة-أما راس الشكل البيضوي فيمثله الرأس المدبب للعقد.

والمواد البنائيه المستخدمة فهي الآجر المربع باللون الأحمر بقياس ٢٣×٢٠×٥،٥سم وقد تم رصفه بشكل أفقي باستثناء الأطار المحيط بالعقد والذي يشغل مساحة أجرة واحدة فقد تم رصفه بشكل رأسي وبصورة منتظمة[١].

وتم ربط الآجر بالنوره في الأجزاء السفلى الملامسة للماء بصورة مباشرة لعدم تأثره بالرطوبة والأملاح واستخدام الجص في الأجزاء البعيدة نسبيا عن مجرى مياه الكري.

وقد زينت القنطرة فيبقى موضع جدال وذلك لعدم وجود أي دليل مادي قاطع يحدد فترة أنشائها.

وهناك دراستان حديثتان لباحثين عراقيين يشيران إلى تاريخين مختلفين الأنشاء هذه القنطرة. الأول يذكر بان تاريخ أنشائها يرجع إلى نفس الفترة التاريخية نفسها التي أنشئت فيها قنطرة حربى في سامراء والمعروف تاريخها عباسياً مستندا إلى النسابة الكبير بين عقدي القنطرتين[٢]. والثاني مختلف عن الرأي الأول ويلاحظ ما جاء به حيث يشير إلى أن فتحة العقد وأرجله وطريقة تصنيف الآجر في واجهتيه تختلف تماما عن قنطرة حربى وأنها يمكن أن تعود إلى فترة زمنية لاحقة[٣] إلا أن هذا الباحث لم يحدد الفترة الزمنية بشكل دقيق.

ورأينا بأن تاريخ إنشاء هذه القنطرة يعود إلى الفترة الزمنية المحصورة بين١١٢٣هـ - ١١٤٦هـ فترة الاحتلال الصفوي الثاني للعراق للأسباب التالية:

١- لم يرد ذكرها في المراجع التاريخية التي سبقت هذه الفترة.

٢- إن المشار علي الصفوي حاول إيصال الماء من هذا الكري بواسطة خندق إلى مسجد الكوفة في عام١١٣٣هـ وربما يكون هو من قام بأنشائها.

والقنطرة اليوم لازالت قائمة وقد أجرت عليها دائرة الآثار والتراث أعمال صيانة كان آخرها عام١٩٩٤م لموسم واحد وهي تحتاج إلى إتمام عملية صيانتها بشكل كامل لغرض المحافظة عليها.

قنطرة كري سعدة

* * *

(١) المصدر السابق/ص٨٣

(٢)Ahjanabi, Dr. Tariq Jwad" Studies in Medieval Iraqi, Architecture/ Baghdad-1982p. 162

(٣) الساعدي/المصدر السابق/ص٨٤